وآخر. ولم يستطع نمط النقد الروائي الاجتماعي هذا، أن يتمثل بما فيه الكفاية أنّ الروايات تُعبِّر في وحدتها الكلية العامة عن موقف معين للكاتب، وأن المادة الواقعية والاجتماعية لا تشكل إلا وسائل للبناءِ لا تأخذ دلالتها الكلية إلّا عندما ينتهي تشكيلُ العمل الروائي. ولا يلقى التنظير للشكل الروائي اهتماماً كبيراً، إذ يُعتبر دائماً مسألة ثانوية في دراسة الرواية. هذه الجوانب لم ينتبه لها إلّا نقاد النمط الثالث الذين انطلقوا من مفهوم الرؤية، أو من بعض المفاهيم القريبة منه كمفهوميْ الإيديولوجيا وموقف الكاتب. وغالباً ما تُفهم الرؤية كتصور فردي، وفي بعض الأحيان يتم الربط بين الرؤية الذاتية وعناصر الثقافة المحيطة بالروائي. ولا يتخلى أصحاب هذا النمط عن النزعة الإنسانية متجنبين بذلك اتخاذ موقف إديولوجي أو سياسي محدد. والاختلاف الأساسي الذي يميز نقاد هذا النمط عن غيرهم، هو الاهتمام النسبي بالجانب الجمالي، وإثارة قضية العلاقة الحميمة القائمة بين الشكل والمضمون[64]، يضاف إلى ذلك تخلصهم شبه التام من فكرة الإنعكاس. ولم يستخدم هؤلاء مفاهيم البنيوية التكوينية لأن أغلبهم لم يطلع عليها. وقد اكتفى البعض بالإشارة إلى البنيوية التكوينية، كما جاءت عند «لوكاتش» و«غولدمان»، ولم تُناقش مصطلحاتُ هذا المنهج أو تعرض بشكل مفصل في الجانب النظري على الأقل(*).

وإذا تأملنا الخطوات النظرية للمنهج الاجتماعي في نقد الرواية كما تجلت لنا من خلال الأنماط الثلاثة السابقة، فإننا نجدها تقارب الخطوات التي قطعها النقد السوسيولوجي في الغرب، تلك التي تعرّضنا لها في مدخل هذا الفصل، وهذا لا يعني أن قيمة النقد الروائي العربي هي نفسها قيمة النقد الروائي الغربي، ذلك أن النقد الروائي العربي كان دائماً يَقْتَفي خطوات النقد الغربي، وكثيراً ما كان النقاد يأخذون تلك المعطيات بشكل حرفي ليعاد إنتاجها من جديد بأساليب مختلفة يغلب عليها الابتسار في أكثر الأحيان. بعض هؤلاء النقاد حاولوا مراعاة خصوصيات الرواية العربية، إلا أن المجال النظري لم يكن يتيح لهم إبراز فعالية مثل هذه المحاولات أو البرهنة على قيمتها[65] ولعلنا سنتبين هذه القيمة من خلال دراسة النماذج في الجانب التطبيقي.

ومع أن النقد الروائي العربي قد سار ـ كما قلنا ـ على خطوات النقد الروائي الغربي،

---

(64) انظر ما قلناه عن كتاب محمد كامل الخطيب، وخاصة تصوره لطبيعة العلاقة بين المعرفة بالعالم، والشكل الجمالي. وذلك ضمن الحديث عن النمط النقدي الاجتماعي الثالث.

(65) أشار د. أحمد ابراهيم الهواري في كتابه المذكور سابقاً: **البطل المعاصر في الرواية المصرية**. إلى ضرورة تطويع الجهاز النظري، سواء في دراسة البنية الاجتماعية العربية أو البنية الفكرية، لمقتضيات الواقع العربي، ص 10 - 11.

(*) تجدر الإشارة إلى أننا زعمنا تقديم أغلب مصطلحات البنيوية التكوينية في كتابنا: **الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي**. وأيضاً في كتابنا: **من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية**. انظر الاشارة إلى ذلك في آخر كلامنا عن النمط النقدي الاجتماعي الثالث سابقاً.